أثر الفكر الديني
على النتاج الأدبي في بلاد الرافدين

أ.د. منذر علي عبد المالك
جامعة بغداد – كلية الآداب
قسم التاريخ

أ.م.د. فيحاء مولود علي
جامعة بغداد – كلية الآداب
قسم الآثار

المقدمة :

إن تعريف الدين مسألة ليست بالبساطة التي يتصورها البعض لأول وهلة ، لأننا إذا أردنا أن نعرف الدين تعريفاً عاماً يشمل الأديان جميعاً نجد صعوبة كبيرة والصعوبة ناشئة من تعريف الدين تعريفاً جامعاً ، لأن كل دين له مميزاته الخاصة به سواء في الشعور أو في الإعتقاد أو طرق التعبد [١] ، وإذا حاولنا ان نبحث عن تعريف الدين لتوصلنا إلى تعريفات متعددة تكشف كل واحدة منها عن جانب من جوانب الدين ، فالدين هو الجزاء والمكافئة ، دنته بفعله أي جزيته ، ويوم الدين هو يوم الجزاء ، وفي المثل كما تدين تدان أي كما تُجازي تُجازى ، والدين هو الحساب ومنه قوله تعالى ((مالك يوم الدين)) وقيل معناه (مالك يوم الجزاء) [٢] ، والدين هو الطاعة والعادة والشأن وتقول العرب ما زال ديني وديدني ، أي عادتي ، كما يعني الدين هو القهر والورع والديان والقاضي والحاكم والسائس والمحاسب والمجازي الذي لا يضيع عملاً بل يجزي بالخير والشر [٣] .

قبل الدخول في تفاصيل النتاجات الأدبية لبلاد الرافدين لا بد لنا من إلقاء نظرة سريعة على الفكر الديني الذي كان أكثر تعبيراً وشمل جوانب متعددة من واقع الوجود الاجتماعي الذي تبلور على شكل ديانة منظمة لها مؤسساتها وأبنيتها الدينية الخاصة التي ظهرت في القسم الجنوبي من بلاد الرافدين ، لأداء الطقوس والشعائر الدينية الأخرى ، فقد كان هذا الدين عبارة عن مفاهيم وتصورات أرتبطت بمظاهر الطبيعة منذ عصور ما قبل التاريخ ، واستمرت حتى وصل إلى أوج أدراكه الفكري والعقلي من خلال فهم وتفسير ما يحيط به من تلك الظواهر الطبيعية المختلفة . لذا وضع المفكرون القدماء سلسلة طويلة من النتاجات الأدبية التي صب فيها عصارة فكره الديني وقدم لنا معلومات قيمة عن تلك التأملات الدينية ، إذ أن أغلب النصوص الأدبية تحمل طابعاً دينياً لأن الدين قد شمل جوانب الحياة كلها ، وبما أن موضوعنا هو دراسة في الفكر الديني في ضوء النصوص الأدبية لذلك تركزت الدراسة على النصوص الأسطورية والملحمية على وجه الخصوص كونها انموذجاً مهماً لأنعكاس الفكر الديني القديم .

أدب بلاد الرافدين:

ضمت أرض الرافدين حضارة عظيمة شملت كل مقومات التطور ، فكان من بين نتاج تلك الحضارة ذلك الموروث الأدبي الذي نقل شفاهاً ولدهور طويلة وعبّر عن وعي وثقافة عالية ، كما أن الإرث الأدبي الغزير الذي إذا ما قارناه مع أدب الحضارات الأخرى نجده تميز بالأصالة والقدم والتنوع [٤]. لقد كان النتاج الأدبي على درجة عالية من الأهمية لأنه يمثل أولى محاولات الإنسان للتعبير عن معاني الحياة ، ولم يبدأ تدوين ذلك النوع من الفنون العقلية (وما أطلق عليه بأدب بلاد الرافدين) إلا بعد مرور نحو ألف عام على اختراع الكتابة ، وذلك لأن الأدب القديم كان ينشد أو يتلى على مسامع عامة الناس أو تم تناقله شفاهاً [٥] ، وبحلول نهاية الألفية الثالثة قبل الميلاد كانت الكتابة في أوج تطورها وانتشارها ، لذا ظهرت الحاجة إلى تعليمها ونقل الثقافة من جيل إلى آخر عندها بدت بوادر لظهور الأدب المدون [٦] . وتأكد ذلك من خلال أقدم النصوص السومرية ذات الطابع الأدبي والمعروفة حتى الآن يعود تأريخها إلى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد ، ذلك النص الأدبي المتمثل بالحوار الأدبي الذي جرى على لسان الإله إنليل وأخته ننخرساك [٧] . مع كون إن الأدب في بلاد الرافدين نشأ على يد السومريين في بداية الأمر ، وكان ينقل شفاهاً كما ذكر آنفاً ، وما أن حل عصر أور الثالثة (٢١١٢-٢٠٠٤ ق.م) حتى بدأ عصر جديد ونهضة فكرية أخرى أخذت على عاتقها تدوين النصوص الأدبية وأضافوا عليها نتيجة تطور الوعي الثقافي لدى الأجيال المتعاقبة ونتيجة تطور ذهنية المؤلفين الموهوبين ، ولكن ما يؤسف له إن هذه النصوص لم تصل منها إلا القليل مثل النصوص الأسطورية الخاصة بالآلهة والنصوص الدينية والتراتيل والمراثي ، ويبدو أن المزيد من تلك المؤلفات قد تم تدوينها على شكل حكايات وقصص تضم في ثناياها شيئاً من الخرافات . وبحلول نهاية سلالة أور الثالثة وبداية عصر جديد كان السبب في ظهور تلك الحركة الواسعة من التدوين الأدبي لكون اللغة السومرية كانت في طريقها إلى الانقراض ، وما أن حل العصر البابلي القديم فلم يعد بالإمكان نقل الموروث السومري والحفاظ عليه من الزوال وحفظه بطريقة موثوقة إلا عن طريق تدوينه [٨] .

عندما حلت اللغة الأكدية (بفرعيها البابلي والآشوري) محل اللغة السومرية ، كلغة رسمية للبلاد وكلغة للتداول اليومي ، كما أن ورود أقوام جديدة إلى بلاد الرافدين (الآموريون) الذين لم يقتصروا على موروثهم الأدبي الخاص بهم ، بل استعاروا من الحضارة السومرية جميع مقوماتها منذ زمن مبكر وأضافوا عليها وطوروها بما يخدم معتقداتهم الخاصة ، فكان الأدب لا يزال حتى في العصر البابلي القديم واقعاً تحت تأثير النماذج والأساليب السومرية وحتى موضوعاتها ، ولكن النصوص الأدبية في هذا العصر قد تطورت حتى شملت

الأساطير والملاحم وأسبغوا عليها سماتهم وخصوصيتهم ، فالكثير من الأساطير والملاحم ذات النصوص المطولة والهامة قد تم تنقيحها وتجديدها مثل (أسطورة الخليقة وأسطورة نركال وإيريشكيكال وأسطورة إيرا وملحمة كلكامش وملحمة إيتانا) ، مع العلم إن المكانة الرفيعة بقيت تتمتع بها اللغة السومرية كلغة ثقافة من خلال ندرة الترجمات حتى في حالة السماح باستنساخ النصوص السومرية الأصلية لا يتم استنساخها إلا على النص السومري فلا يمكن التخلي عنه بل يحتفظ به إلى جانب ترجمته الأكدية لذا ضمت ما بين سطور النص الأصلي لتشكل عمل ثنائي اللغة [٩] .إن سكان بلاد الرافدين تطرقوا إلى مختلف صنوف الأدب ولم يتركوا صنفاً من صنوفه إلى وكتبوا عنه سواء شعراً كان أم نثراً [١٠] ، لذلك وجدت خصائص أو مميزات كثيرة لهذا الأدب[١١].

إن الأساطير والملاحم شغلت مجالاً واسعاً من مساحة الأدب القديم (ينظر المخطط رقم ١)، وكذلك أثرت بشكل واضح على التحولات اللغوية والأدبية التي صاحبت نمو الحضارات ورقيها لاحقاً . هناك انطباع لدى بعض الباحثين مفاده أن التأليف الأدبية السومرية معظمها ذات صفة دينية وأنه جرى تأليفها على يد الكهنة لاستعمالها في الطقوس الخاصة بالمعبد ، ويبدو أن مثل هذا الانطباع جاء نتيجة لوجود أعداد غير قليلة من الألواح المدونة بموضوعات ذات طابع ديني كالأدعية والصلوات والترانيم والأساطير مثل (قصص الخليقة والطوفان والعالم الأسفل) ، ونتيجة لارتباط الكتابة منذ أقدم مراحلها بالمعابد ومن ثم بالكهنة الذين يفترض فيهم أن يكونوا في طليعة الطبقة المثقفة في المجتمع ، الا أنه لا يوجد ما يعزز صحة هذا الانطباع باستثناء محتمل للصلوات والمراثي التي لها علاقة بالمعبد ، ويعتقد كريمر بأن من غير المعقول أن الأمثال والحكم السومرية والأعمال الأدبية التي لها علاقة بدور التعليم أي (المدارس) قد كتبها كهنة أو أن لها أية علاقة بطقوس المعبد ، وليس هناك دليل (برأيه أيضاً) على وجود ملاحم لأبطال مثل (أنميركار ولوكالبندا) أو حتى (كلكامش) قد ألفها كهنة أو أنها تُقرأ في المعبد ، والأمر ينطبق كذلك على الأساطير التي لا يوجد ما يثبت صلتها بالطقوس والاحتفالات الدينية خلال العصور السومرية المبكرة ، مما تجدر الإشارة إلى أن التنقيبات التي جرت في مدينة نفر (إحدى أهم المدن والمراكز السومرية ذات الثقافة الدينية لدى السومريين) قد كشفت عن الألواح المدونة بالتراتيل والمراثي مع بقية الألواح الأخرى المدونة بالأعمال الأدبية ليس موجودة في المعابد ولكن وجدت في حارة النساخ والكتبة ، مما يدل على أنها ألفت في دور التعليم (المدارس) وعلى يد أعضاء الهيئة التدريسية وليس على يد الكهنة ، علماً بأنه لم يأت ذكر للكهنة بوصفهم من العاملين في دور التعليم [١٢] . لقد جاءت معلوماتنا عن أدب بلاد الرافدين من النصوص المسمارية بالدرجة الأولى التي وجدت في مكانين مهمين ، الأول جاءت من المدارس ودور الكتبة منذ

القرن التاسع عشر وحتى القرن السابع عشر قبل الميلاد ، أما الثاني جاءت من المكتبات الملكية في مدينة آشور ونينوى من القرن الثاني عشر وحتى القرن السابع قبل الميلاد[١٣]. إن معظم النصوص الأدبية عرفت من خلال سطرها الأول وتم تصنيفها وتبويبها وفقاً لذلك وكان خير مثال على ذلك هي تلك السلسلة من النصوص التي عرفت باسم حينما في العُلى (إينوما إيليش enuma eliš) التي سجلت أحداث مهمة لبدايات الخلق الأولى[١٤] ، علماً أنها سجلت على ألواح طينية عدة ، وإن استعمال الرقم الطينية في التدوين أضطر الكتبة إلى تدوين النصوص الأدبية لا سيما النصوص الأسطورية والملحمية على عدد من النصوص الطينية ، فمثلاً ملحمة كلكامش كتبت على ١٢ لوحاً من الطين ، إذ كان من المتعذر كتابتها على لوح طيني واحد منفرد نظراً لطول نصها ، كما رتبت على هيئة سلسلة متتابعة ومذيلة كل لوح من ألواحها بعنوان السلسلة العام مع وجود رقم تسلسلها ، وإن بداية السطر الذي يبدأ به اللوح هو السطر الأخير من اللوح الذي سبقه ليؤكد الكاتب بأن هذه التكملة له ، وعلى هذا المنوال كانت كل مجموعة من سلسلة النصوص الأدبية تُحفظ في أوعية أو جرار أو سلال خاصة توضع في رفوف ، أو يعلق في كل مجموعة عنوان السلسلة الذي يسجل في بطاقة أو لوح صغير جداً من الطين [١٥] ، ونتج عن هذا الأسلوب في حفظ النصوص الأدبية نظام الفهرسة والسجلات المتعارف لدينا [١٦] . كانت بعض النصوص مذيلة بأسماء أشخاص على الأغلب أنهم كانوا نُساخاً أو جامعين للنصوص ، فالشخص الذي جمع ملحمة كلكامش وكتبها قد سجل أسمه عليها وهو (سين–ليقي–أونيني) ، إلا أن القسم الأعظم من النتاجات الأدبية تغفل عن ذكر أسماء مؤلفيها ، كونها نشأت ونمت في هيئة تراث شعبي ، شاركت في إبداعه أجيال عدة من الشعراء والمنشدين والقاصين ولم يتفرد في إبداعها أديب أو شاعر واحد [١٧] .

إن النصوص الأدبية المكتشفة في بلاد الرافدين تعد ذات أهمية قصوى في تحديد تأريخ تطور الآداب الإنسانية وذلك لأنها تعد أولى محاولات الإنسان في التعبير عن إشكالات الحياة وقيمها وأصول المجتمع ومشاكل الفرد ، وقد نظمت ورتبت بأسلوب إبداعي مستند على التأمل والخيال ، وعلى الرغم من قدم تلك النصوص الأدبية إلا أنها تتميز بالسمات الأساسية التي تتميز بها النصوص الأدبية العالمية الناضجة ، سواء كان في دقة التصوير الملحمي أو الأسطوري أو في دقة اختيار التعابير اللغوية وتنظيمها ، فالأدب غني بموضوعاته وإشكالاته الفكرية وعالج قضايا مهمة شغلت فكر القدماء لزمن طويل مثل قضية أصل الكون وخلقه وأصل الوجود وأصل الآلهة وعلاقتهم ، وتعدى إلى ذكر مآثر الأبطال والقصص ومنها قصة الطوفان وبلغ إلى ما وراء ذلك ليذكر ما بعد الموت وأدب الحكمة ، وموضوع الخير والشر والعدل الإلهي وأدب المفاخرة والمراثي التي أرخت أحداثاً

تاريخية تتعلق بالكوارث التي حلت بالمدن مثل تدمير مدينة أكد وأور ، ويضاف إلى ذلك بعض الترانيم والصلوات المقدمة للآلهة ، أو الأناشيد الصغيرة التي تنشد في مناسبات مختلفة [١٨] .

أدب الأساطير في بلاد الرافدين :-

نشأت الأسطورة من المعتقد الديني وكانت بمثابة امتداد طبيعي له ، فهي تعمل على إغنائه وتوضيحه وذلك بتزويده بالجانب الخيالي الذي يربطه بالعواطف والانفعالات الإنسانية [١٩] ، فضلاً عن كونها ترسم للآلهة صورها حسب ما يتخيلها الإنسان في بلاد الرافدين وتعطيها أسمائها وصفاتها وألقابها ومهامها[٢٠] ، مما جعل عالم الآلهة وكأنه لوحة مرسومة حدد فيها كل إله ومدى صلاحياته وعلاقاته مع الآخر [٢١] ، فهي تجسيم للحقيقة كما عرفها الإنسان وتفسير لما يحيط به في الطبيعة إذ سعى الإنسان جاهداً إلى اكتشاف مركزه في البيئة والمجتمع والكون [٢٢] ، لقد أختار الإنسان الأسطورة ستاراً له بعناية كبيرة من أجل أن يكشف حقيقة ما وراء الطبيعة وأساسيات الوجود الأولى أو ما يتصل بها من أسرار المادة والجوهر والزمن والذات البشرية ويعالج فيها دقائق الكون [٢٣]. إن الفكر الأسطوري هو وسيلة للتعبير عن المواقف والأفكار التي تعالج مشكلات الإنسان الدائمة لعلاقته بالطبيعة[٢٤]، فجاءت الأسطورة بالنسبة له لتضم الكثير من تأملاته وحكمته ومنطقه وأسلوبه في المعرفة ، وأداته الأسبق في التفسير والتحليل وكتبها بشكل أدبي [٢٥] ، ولقد لازمت الأسطورة المجتمعات قديمها وحديثها إلى أن أصبحت ظاهرة عامة في كل مجتمع أو حضارة ، إذ لا تخلو أي أمة من الأمم القديمة من وجود أساطير أو حتى رواسب الأساطير المتمثلة في القصص والحكايات المتداولة [٢٦]، إن الأدب الأسطوري وأحداثه كانت بمثابة وسيلة إيصال وصيغة للتعبير عن حقائق معينة [٢٧]. لقد كانت أفكار السومريين عن الخلق والتكوين ناضجة وأثبتوا مقدرتهم الفائقة على الملاحظة الذكية والربط واستخلاص النتائج المنطقية وربط الحقائق والوقائع [٢٨] ، وكانت الأساطير السومرية هي أقدم النماذج الأدبية المكتشفة حتى الآن فإنها تعد من أهم المصادر الحيوية المعول عليها في فهم ودراسة الأساطير السائدة في الشرق الأدنى القديم [٢٩] . إن ما يؤسف له هو عدم الكشف عن نصوص أدبية أو نصوص أسطورية باللغة الأكدية تعود إلى العصر الأكدي (٢٣٧١-٢٢٢٥ ق.م) أو إلى عصور سبقت هذا العصر ولكن ظهرت البوادر الأولى لتمثيل الآلهة وتمثيل أحداث أسطورية على الأختام والفنون الأخرى ويدل على كون الأساطير كان يتم تناقلها شفاهاً ، وأن البوادر الأولى لظهور النصوص الدينية التي تتضمن معلومات عن الآلهة السومرية والأكدية كانت النافذة التي يمكن من خلالها دراسة وفهم النصوص الأسطورية السومرية والبابلية [٣٠] ، مع العلم أن الأساطير السومرية (إلى جانب الأساطير

البابلية) التي تم الكشف عنها وترجمتها جاءت من العصر البابلي القديم ، ولا بد من الإشارة إلى أن معظم الأساطير كان منشأها سومري عندما كانت تتداول شفاهاً ، وأعيدت كتاباتها بروح بابلية فيها كثير من الإبداع والخلق [٣١] . وعثر على نسخ سومرية من أماكن عديدة أهمها في مدينة نفر (نيبور) ضم القسم الأعظم من هذه النصوص ذات الطابع الأدبي والديني المحض ، كما عثر على مثل هذه النصوص في معظم المدن السومرية مثل مدينة أور وكيش وغيرها ، وتظهر هذه النسخ تبايناً واضحاً في المضمون والأسلوب في الطول وفي القصر مما يدعم الرأي القائل بأنها اعتمدت في تدوينها على مصادر شفوية مختلفة ، علماً بأن الروايات المختصرة تجعل فهم الأسطورة صعباً إن لم تكن معروفة وافية للنصوص الأخرى ، وكذلك الحال بالنسبة لنسخ النصوص الأكدية فقد جاءت من عصور مختلفة وروايات متعددة ، إن الشيء الملفت للنظر هو النتاج الأدبي من العصر الآشوري بمراحله الثلاث (القديم ، الوسيط ، الحديث) الذي كان قليلاً لأن كل ما عثر عليه في العاصمة آشور ونينوى في مكتبة الملك الآشوري آشوربانيبال قد كان مدوناً بعد العصر البابلي القديم ومنسوخاً عن أصول بابلية قديمة ومختوم بأسماء كاتبيها [٣٢] .

أن الأديب السومري والبابلي كان يختار الكلمات الأولى من السطر الأول عنواناً للنصوص الأدبية ، كما في أسطورة الخليقة التي تبدأ بالكلمات (إينوما إيليش enuma eliš) بمعنى (حينما في العُلى) ، كما أن طول النص أو قصره يختلف من أسطورة إلى أخرى فبعضها يشمل ١٤٢ سطراً مثل أسطورة مارتو و (٨٠٠) سطر بعد إتمام النواقص في أسطورة إنكي وإينانا ، ومما يزيد في طول النص تكرار بعض المقاطع تكراراً حرفياً أو معدلاً بعض الشيء فيها [٣٣] ، ويبدو أن الناظم لهذه الأساطير قد وجد في التكرار أهمية تحقق تماسكاً في نصه الذي يقرأ شعراً أو نثراً وهي ميزة استثنائية مهمة في نصوص أدب بلاد الرافدين ولا سيما الأساطير والملاحم التي وضعت لتقرأ بأوجه عدة رغم أن كاتبها يبدو شاعراً على الأغلب [٣٤] . لقد وجدت أنواع عدة من الأساطير أختلف الباحثون في تقسيمها[٣٥] لعل أهمها النوع التفسيري الذي يهدف إلى تعيين الأسباب والعلل الأولى للظواهر والأحداث الجارية وإيجاد حلول وتفسيرات لها التي تبدو غريبة في نظر الإنسان القديم استناداً إلى ما جاء في النصوص كأساطير الطبيعة أو كما يسميها البعض الأساطير التفسيرية ويؤلف هذا الجزء الأكبر والأهم من الأساطير ، وتجمع هذه الأساطير في تكوينها بين الخيال والحقيقة بنسب متفاوتة ويتناول هذا النوع كيفية خلق الكون وتتشكل في مراحلها الأولى من التأمل في الظواهر الطبيعية والكونية ، ثم أن التأمل ينتج عنه التساؤل الذي يتطلب الإجابة وقد قدم هذا النوع من الأساطير الإجابة التي يبحث عنها ، أي أن هذه الأساطير تتناول أصل الكون وكيفية الخلق وأعمال الآلهة وعلاقة أحدهم بالآخر وعلاقتهم بالظواهر الطبيعية ومن أمثلة

هذا النوع هي أساطير الخليقة ففيها نجد نظاماً كونياً واضحاً [٣٦] . فضلاً عن ذلك هناك أنواع عدة من الأساطير أهمها الأساطير التشخيصية التي تحكي نشوء أو أصل ظاهرة معينة مثل الأسطورة المسماة (ولادة ننار / سين) التي تحكي نشأة القمر ، وهناك نوع آخر من الأساطير التي تصف أحداثاً تاريخية أي نسجت حول شخصيات في ظروف تاريخية موغلة في القدم[٣٧] . في حين يقسم باحثين آخرين الأساطير إلى :

١- أساطير الخليقة (التكوين)[٣٨] : وتشمل أساطير خلق الكون وأساطير خلق الآلهة وأساطير خلق البشر كما في أسطورة الخليقة (حينما في العلى)[٣٩] .

٢- أساطير البناء : وهي الأساطير التي يقوم فيها الآلهة بخلق وبناء تفاصيل العالم وتأسيس الموت ومنح الخلود وخلق الإنسان وخلق أدوات العمل كالفأس والمحراث وأدوات الحكم والسلطة وإنزال الملوكية من السماء وغيرها وتسيطر على هذه الأساطير والمدائح الإلهية ومدائح المدن التي بناها الآلهة وقصائد البناء الأخرى[٤٠] .

٣- أساطير الحب المقدس : وهي أساطير الحب المتعلقة بالآلهة فقد كانت عند السومريين تمثلها أساطير الحب والزواج المقدس للإلهة إينانا (عشتار) مع الإله دموزي وهي تحتوي على نوعين (النوع البنّاء) وهي أساطير وقصائد الحب والزواج المقدس ، والنوع الثاني (التدميري) وهي أساطير نزول الآلهة العاشقين إلى العالم الأسفل[٤١] .

٤- أساطير التدمير : وهي الأساطير التي تبدأ فيها قوى العالم الأسفل بالظهور والصراع مع قوى العالم الأسفل والأعلى وتمثلها أساطير قوى التدمير الآلهة للمدن وأساطير صراع آلهة العالم الأسفل مع آلهة الكون وتسيطر على هذا النوع من الأساطير المراثي الإلهية ومراثي المدن وظهور رموز الشر [٤٢] .

نستنتج مما ذكر في أعلاه أن الأسطورة كانت بمثابة الوسيط بين الحدث الطبيعي والتفسير المنطقي لها والصياغة الأسطورية ، فهي الأداة النفسية لملأ الفراغات التي لم تكن اللغة مهيأة لملأها بمفرداتها وفي صقل المشاعر الإنسانية ، إلا أنها شكلت محاولة لإيجاد حل للمشاكل التي واجهها الإنسان في طبيعة بلاده وتركت تأثيراً في طريقة تفكيره ونظرته إلى الوجود وعلاقته بها ، وكذلك هي عملية تأمل من أجل الإجابة عن أسئلة تشغل بال الإنسان ، ومن هنا كانت الأسطورة سداً لحاجاته وتأملاته للطبيعة ، كما إن طريقته واسلوبه في التفسير والتعليل جاءت انعكاساً لقناعته الداخلية ، كل ذلك أثر بشكل أو بآخر على صياغة الأساطير وتنوعها وتعدد شخوصها[٤٣] .

مواضيع الأساطير وأهم الأساطير الرافدينية :

إن أهم المواضيع التي تناولتها الأساطير السومرية والأكدية هي مواضيع الآلهة وعلاقاتها مع بعضها وتصوراتها الدينية المختلفة أعطتنا صوراً أكثر إقناعاً عن الآلهة من

خلال تعدادهم وخصائصهم ومتابعة سلسلة أنسابهم [٤٤] ، وهنالك مجموعة من الأساطير التي تخص الآلهة سيما ذات الأصل السومري والتي كانت مؤثرة في حياة الناس ومؤثرة كذلك في مجمع الآلهة السومري ولاحقاً في الأكدي وهم (آنو – أنليل – أنكي – أوتو – ننار وأينانا)[٤٥] . إن موضوعات تلك الأساطير متشعبة فمنها ما يدور حول أساطير الخليقة التي تتضمن خلق الكون والبشر وبقية الكائنات والصراع الأزلي بين الخير والشر [٤٦] ، ومنها أساطير تعنى بتنظيم الكون وعمل الآلهة وتسمى أساطير التنظيم وأخيراً أساطير متنوعة تتخذ من ولادة الآلهة وسلوكها وعلاقتها مواضيع لها ، علماً أن تدوين تلك الأساطير القديمة كان في كثير من الأحيان باللغتين السومرية والأكدية ، مع العلم إن أدب الأساطير السومرية هو أدب راق ومبدع فقد وصلتنا ما يقارب (٢٠) أسطورة مدونة باللغة السومرية على الرغم من أن أغلبها ناقص وغير متكامل نتيجة تكسر الألواح وتخريمها لما تعرضت إليه من ظروف طبيعية قاسية لاندثار المدن القديمة . أن أدب الأساطير من أهم ما أبدعه الإنسان الذي عبر عن فكره ورؤيته التأملية ، فهو من نتاج العقلي البشري الذي طالما فكر في أصول الأشياء وعندما لم يجد لها الحلول حاول أن يضعها في إطار أسطوري لذا جسدها على شكل شخوص أسطورية وأبطالها من الآلهة واستمد أفكارها الأسطورية من أسرار هذا الكون والحياة والظواهر الطبيعية والخلود والموت [٤٧] ، فقد عكست تطور المفهوم الديني لدى الإنسان عندما أراد أن يجرب كل مفاصل الحياة وبكل تعقيداتها لذا جاءت كرد للفعل البشري تجاه تلك التجربة نحو القوة الخارقة التي استحوذت على حياته وأخذت تؤثر فيها تأثيراً مباشراً والذي حاول بكل قواه أن يسيطر عليها أو أن يفسر تلك الظواهر والعلل ، فجاءت الأساطير لتجسد هذه الأفكار بشكل أدبي ذو مستوى عالي [٤٨] . تتميز المواضيع التي تدور حولها الأساطير بالجدية والشمولية مثل خلق الكون والإنسان وظاهرة الموت والعالم الآخر ومعنى الحياة وسر الوجود وما إلى ذلك ، فالأسطورة تلجأ إلى الخيال والعاطفة والترميز [٤٩] ، وقد جاءت الأساطير السومرية خاصة من حيث مواضيعها على الشكل التالي : إثنان أدى فيهما الإله إنليل الدور الرئيسي وهما (إنليل وننليل وولادة إله القمر)[٥٠] و(خلق الفأس) ، وأربعة أساطير أدى فيها الإله إنكي دور البطولة وهي (إنكي ونظام الكون) عند تنظيم الأرض ومقوماتها الحضارية و(إنكي وننخرساك) و(إنكي وننماخ) و(خلق الإنسان) ، مع ارتباط إنكي بمدينة أريدو[٥١] ، مع وجود أسطورة واحدة تتعلق بإله القمر ننار وهي (رحلة ننار / سين إلى مدينة نفر)[٥٢] ، وهناك أسطورتان تختصان بالإله (ننورتا) ، وخمسة أساطير تؤدي فيها الإلهة (إينانا / عشتار) الدور الرئيسي وهي (إينانا وإنكي) عندما حملت فنون الحضارة من أريدو إلى مدينة الوركاء[٥٣] ، و(إينانا وجبل إيبخ) عندما أخضعت الجبل ، و(إينانا وشوكالتودا) و(نزول الإلهة إينانا إلى العالم الأسفل)

و(إينانا وبيلولو)[٥٤] ، علماً أن هناك أربعة أساطير يؤدي فيها الإله دموزي الدور الرئيسي وهي (دموزي وأنكميدو) و(التودد لإينانا) و(دموزي والشياطين) ، وهناك أسطورة واحدة تتعلق بالإله مارتو [٥٥]. أما الأساطير الأكدية لعل أهمها (أسطورة الخليقة ، نزول إينانا إلى العالم الأسفل ، أسطورة الطائر زو ، أسطورة إيرا)[٥٦]. ولقد أقتبس الآشوريون هذه التآليف الأدبية الأسطورية برمتها وأعادوا استنساخها مرة أخرى ولكن بأسلوبهم ولهجتهم [٥٧] .

أدب الملاحم في بلاد الرافدين :

تعد الملاحم من الأعمال الأدبية البارزة في أدب بلاد الرافدين ، وهي تدور في الأساس حول شخص ما ذُكر فيها مآثره وبطولاته وكل ما يتعلق به [٥٨]. والأدب الملحمي يختلف عن الأدب الأسطوري في أصل البطل الذي يحقق هدفه بالدرجة الأولى استناداً إلى خصائص فردية وشخصية تتسم بالقوة والبسالة ، وبعد إن كان البطل في الأساطير إلهاً أصبح في الملاحم إنساناً ملكاً أو قائداً أو حكيماً ، وهنا تكمن أهمية الأدب الملحمي بوصفه فناً أدبياً يركز على صورة الإنسان ويبرز ما له من إرادة ربما تتوافق مع إرادة الآلهة . وترتبط أحداث الملحمة بوحدة أدبية شاملة على الرغم من أن الملحمة تضم أحياناً عدداً كبيراً من الأشخاص وتجري أحداثها في مواقع عدة ، والملحمة لها بنية متناسقة مبنية على الفكرة الواحدة أو المتشعبة بحيث لو حذف أي جزء منها لتهدم العمل الأدبي[٥٩]. ويتركز النص الملحمي كذلك على عنصر الإثارة والترقب والتهويل [٦٠]. فالملحمة تقوم على أساس مجتمعين وهما مجتمع الآلهة ومجتمع البشر الذي تدور حولهما الأحداث[٦١]، وتنطوي الملاحم على المبالغة والتصور التي لا تخلو أحياناً من الطابع الأسطوري في سرد بعض الأحداث [٦٢] . لذا تُبنى الملحمة على حدث كبير ومهم له أساس تاريخي فعلى سبيل المثال ملحمة كلكامش التي انطلقت أساساً من مرحلة حكم كلكامش لمدينة الوركاء وبنائه لهذه المدينة ثم بحثه عن الخلود [٦٣] ، لقد أعادت هذه الملاحم الأحداث التاريخية بشكل أدبي واضح حتى بات الحدث له الدور الرئيس في الملحمة .أن الملحمة ارتبطت بالحضارة البشرية وهي تتغير بتغير وتطور تلك الحضارة ، لكن المرتكزات والتقاليد الأساسية لها تظل راسخة على الرغم من هذا التطور الحضاري ، فلم تعد الآلهة طرفاً في الصراع لكنها تظهر أحياناً في دور المنتقم أو الناصح أو الموجه كما في ملحمة الطوفان عندما نصح الإله إنكي (أيا) بطل الطوفان بأن يصنع له سفينة[٦٤] .

ارتبطت نشأة الملاحم عند السومريين بتخليد أسماء حكامهم المهمين وبعضاً من أعمالهم مما حدى بالمؤلفين إلى حياكة بطولات وأحداث لتلك الشخصيات وبأسلوب ملحمي[٦٥] ، وقد ازدهر العصر البطولي السومري في الربع الأول من الألف الثالث قبل الميلاد ، أي في الحقبة الواقعة بين (٣٠٠٠ – ٢٧٥٠ ق.م) وفي هذه المرحلة لم يُلاحظ

تدوين هذه الملاحم التي أنشدت في ذلك العصر ويعود السبب إلى إن الكتابة كانت محدودة على تدوين ما يتعلق بالحالة الاقتصادية وكذلك غير منتشرة بصورة واسعة بل كانت مقتصرة على المعبد وإيراداته ، لذلك المنشدين والمغنيين لم يدونوا أعمالهم الأدبية ولكن كانوا يحفظونها على الغيب ويرددوها شفاهاً [٦٦]. وقد ذكر ملوك قدماء رُفعوا إلى مصاف الآلهة ونسبوا لهم مآثر وقوى خارقة وأجسام عملاقة ورويت لهم مغامرات ورحلات شهيرة وبطولات فذة أمثال بعض الحكام من عصر فجر السلالات مثل إنميركار (Enmerkar)[٦٧] ، ولوكال بندا (Lugal-banda)[٦٨] ودموزي (Dumuzi)[٦٩] ، وكلكامش (Gilgamesh) [٧٠] ، كما وجد عدد غير قليل من الملاحم السومرية التي لم تدون إلا بعد خمسة قرون أو ستة أي في حدود (٢٠٠٠ ق.م) [٧١].

لقد نُظم أدب الملاحم بأسلوب شعري منذ زمن بعيد إذ كان المنشدون والمغنون ينظمون قصائد شعرية ذات أسلوب ملحمي ربما كانت تتلى في الأعياد والمناسبات التي تقام في البلاد [٧٢] . وغالباً ما كانت تجري على أثر انتصارات أحد الملوك أو إنجاز مشروع عماري كبناء معبد ما أو قصراً له عندها تعد الولائم العامة ويبرز دور هؤلاء الشعراء ليخلدوا ذلك في أشعارهم وقصائدهم عن البطولة أو عن الإنجازات العظيمة لهم ، ويكون ذلك بحضور الملوك والأمراء ، وفي بعض الأحيان ، تتضمن تلك الاحتفالات قراءة تلك الملاحم والقصص البطولية وتتخللها العزف على بعض الآلات الموسيقية مثل القيثارة أو الطبول التي تسهم في شد انتباه السامعين إلى أحداث القصة [٧٣] . كما وصفت الملحمة بأنها نتاج حضارة كبيرة فإنها تميزت بإتقان الكتابة ووضوح الموضوع وسلامة الكلمات ونظمها كما أظهرته الملاحم التي تم العثور عليها ، والتي لم تكن مجرد رقم طينية أدبية كتبها أديب مجهول فحسب ، وإنما هي سيرة كاملة لحياة زاخرة عن الانتصارات والهزائم والآلام والأفراح وكل ما تعلق بشؤون الحياة ، ولا نجد فيها أي أثر لشخصية المؤلف أو الشاعر الذي نظمها [٧٤] ، كما تنتمي معظم الملاحم السومرية والأكدية (البابلية والآشورية) إلى فن القصة والرواية رغم أنها كتبت شعراً أو نظماً على طريقة الشعر وبذلك تكون أمام ثلاثة أجناس أدبية راقية ، وأن عنصر السرد يطغى عليها وجود (العقدة وحلها) ضمن موضوع وفكرة وحدث وحبكة قصصية التي هي فن ترتيب الحوادث وسردها ، ولها بيئة زمانية ومكانية معينة . كما تتجلى قوة السرد القصصي المذهل في ملحمة كلكامش ، فهي قصة شعرية تقوم على البطولة وتحدي الخوارق ، وتؤدي الآلهة دوراً مهماً في تسيير الأحداث لجوانب منها ، وبذلك سجلت حضوراً مدهشاً في مسيرة الإبداع لبلاد الرافدين [٧٥]. وتبدأ الملحمة من نقطة معينة قد تكون من الوسط أو من نقطة غير مهمة بالنسبة إلى بطل الملحمة ، كما تسيطر عليها فكرة الضرورة القدرية التي تسير أحداثها ، وبعد أن تكتمل مادة الملحمة لدى

الشاعر (من حدث تاريخي) يقوم بتنظيم هذه الأحداث ومحاكاتها بشكل موضوعي ، ولا يتدخل في تسلسل الأحداث وما تنطوي عليه من صراع كما لا يعالج نفسية تلك الشخصيات ، وحاول أن يجعل الملحمة تتسم بالسعة والشمول والطول لما تسرده من مغامرات لشخصيات مهمة فبلغت آلاف الأبيات ، وعرضت الحياة في مجملها فضلاً عن التحولات الملحمية للأحداث وهذه من مميزات الملحمة ومنها الاستطالة والاستطراد في الوصف كما تكثر في الملحمة تكرار الأبيات وهذا يعد من مميزات النص الملحمي[٧٦].

مواضيع الملاحم وأهم الملاحم الرافدينية:

أما مواضيع الملاحم والعدد الذي وصل للباحثين لحد الآن فقد تم معرفة تسع قصص ملحمية سومرية تتراوح أطوالها بين أكثر من مائة سطر بقليل وما يزيد عن ستمائة سطر ، وتدور اثنان منها عن البطل إنميركار (إنميركار وبلاد أراتا) و(إنميركار وإينكوسيرانا) وتتركز إثنان عن البطل لوكال بندا وعلى الرغم من أن إنميركار أدى دوراً بارزاً في كلاهما ، ويمكن أن تعنون هاتان القصتان بـ (لوكال بندا وإنميركار) و(لوكال بندا وجبل حوروم) [٧٧] ، وتدور الخمسة الباقية عن أكثر الأبطال السومريين شهرة وهو البطل كلكامش وهي (كلكامش والثور السماوي ، موت كلكامش ، أجا حاكم مدينة كيش ، كلكامش وأرض الأحياء ، إذ يؤدي كلكامش دور قاتل التنين ، وكلكامش وأنكيدو والعالم الأسفل) [٧٨] . اما الملاحم الأكدية (البابلية والآشورية) فقد أعيد تدوين بعض الملاحم السومرية سيما ملحمة كلكامش أما الملاحم التي دونت بالأكدية فهي ملحمة إيتانا فقد وصلتنا مدونة باللغة البابلية والآشورية. فضل عن ملحمة أدبا ، لأن بعض تلك النصوص الملحمية كانت تؤلف من قبل الكهنة وترتل في المعبد والسبب هو أن هذا النوع من الألواح لم يعثر عليها في المعابد وإنما في الحي الخاص بالكتاب ، وهذا يشير إلى أنها لا بد أن تكون قد ألفت في المدرسة (É.DUB.BA) من قبل أعضاءها وليس من قبل الكهان [٧٩] . كما صنف الباحثون نوع آخر من الملاحم ذات الطبيعة السياسية التي تصف الأعمال البطولية العسكرية للملوك العراقيين القدماء ومنها ملحمة مهمة واحدة من التأليف الآشورية التي تعرف بملحمة توكلتي ننورتا الأول (١٢٤٤ – ١٢٠٨ ق.م) وتحكي هذه الملحمة كيف أن الملك الصالح تمكن بمساعدة الإله انليل الذي وضعه في التسلسل الثالث بعد اسمه واسم الإله ننورتا في التسلسل الهرمي المقدس ، من القضاء على الملك الكاشي كاشتلياش الرابع عندما كان ملكاً على بلاد بابل الذي حنث بقسمه ونُبذ من الآلهة وهذه الملحمة بحق تعد عمل دعائي للملك [٨٠] ، فضلاً عن ملحمة تجلات بلصر والوحوش وملحمة نبوخذ نصرالثاني والإله مردوخ[٨١].

الاستنتاجات :

لقد احتلت الأفكار والمعتقدات الدينية منزلة متميزة في بحوث أغلب المفكرين والمشتغلين في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، إذ قدموا دراسات عديدة في جوهر الدين وعن جميع مراحله ومظاهره محاولين ابراز مدى تأثيره في المجتمع ، إلا أن هذه الدراسات قد اختلفت من حيث معالجتها أو من حيث منهج البحث ، وقد أشارت النصوص المسمارية التي اكتشفت وترجمت حتى الآن إلى أن السومريين قد أطالوا التأمل في الطبيعة وفكروا في أصل الكون وكيفية نشوءه وهناك عدة دلائل تشير إلى أن المفكرين السومريين كانوا في الألف الثالث قبل الميلاد قد وضعوا أسس الدين ، وأن تلك الأسس أصبحت فيما بعد أساساً للقواعد والشرائع والعادات والتقاليد في الشرق الأدنى القديم .

إلا أن أولائك المفكرين لم يكتبوا معارفهم الدينية على هيئة قواعد وشرائع وإنما وردت في اعمالهم الأدبية التي خلفوها على شكل أساطير وملاحم وباقي الأعمال الأدبية الأخرى .

المصادر العربية :

١- ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، المجلد ١٣ ، (بيروت : ١٩٥٦) .

٢- أحمد الزاوي ، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة ، ج ٢ ، (مصر) .

٣- إدزارد ، د.، قاموس الآلهة والأساطير ، تر : محمد وحيد خياطة ، (سورية : بلا ت) .

٤- بريشارد ، جيمس ، أساطير بابلية ، تر : سلمان التكريتي ، (النجف : ١٩٧٢) .

٥- بوترو ، جين ، و إدزارد ، اوتو ، و فالكنشتاين ، آدام، الشرق الأدنى والحضارات المبكرة ، ترجمة : عامر سليمان ، (الموصل : ١٩٨٦).

٦- تودوروف ، تزفيتان ، نقد النقد ، تر : سامي سويدان ، (بيروت :١٩٨٦) .

٧- الجميلي ، قصي صبحي عباس ، المكتبات في العراق القديم خلال الألف الأول قبل الميلاد ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد – كلية الآداب ، قسم الآثار ، (بغداد :١٩٩٨) .

٨- الحاج يونس ، ريا محسن ، " الثقافة والعلوم في العراق القديم " ، مجلة آداب الرافدين ، كلية الآداب –جامعة الموصل ، (٢٠٠٩) .

٩- خليل سعيد عبد القادر ، " الحس الديني لدى سكان وادي الرافدين " ، مجلة أفاق عربية ، العدد١ ، (بغداد :١٩٨٧) .

١٠- روبرت بكر ، "بلاد الرافدين القديمة والتقاليد الأدبية للألف الثالث" ، مجلة سومر ، م ٤٢ (بغداد : ١٩٨٦) .

١١- ساكز ، هاري ، الحياة اليومية في العراق القديم (بلاد بابل وأشور) ، تر: كاظم سعد الدين ،(بغداد :٢٠٠٠) .

١٢- ساكز ، هاري ، عظمة بابل ، تر: عامر سليمان ، (الموصل :١٩٧٩) .

١٣- السواح ، فراس ، الأسطورة والمعنى ... ، .

١٤- السواح ، فراس ، مغامرة العقل الأولى دراسة في الأسطورة بين سوريا وبلاد الرافدين ، (بيروت : ١٩٨١) .
١٥- طه الهاشمي ، تاريخ الأديان وفلسفتها ، (بيروت : ١٩٦٣) .
١٦- طه باقر ، "أدب الحكمة من تراث أدب العراق القديم " ، مجلة أفاق عربية ، العدد ٤ ، (بغداد :١٩٧٥) .
١٧- طه باقر ، مقدمة في أدب العراق القديم ، (بغداد : ١٩٧٦) .
١٨- طه باقر وبشير فرنسيس ، "ملحمة كلكامش "، مجلة سومر ، مج ٥، ج ١، (بغداد: ١٩٥٠) .
١٩- عامر سليمان ، العراق في التاريخ القديم ، ج ٢ (الموصل :١٩٩٣) .
٢٠- العزيز ، حسين قاسم ، دراسات عن أساطير عرب شبه الجزيرة قبل الإسلام مدخل لفهم معتقداتهم ، ط١ ، (بيروت : ٢٠١٤) .
٢١- الفؤادي ، عبد الهادي ، رحلة أينانا إلى أريدو ، مجلة سومر ، مج . ٢٧ ، ج١-٢ ، (بغداد :١٩٧١) .
٢٢- فاضل عبد الواحد ، "الأدب" ، حضارة العراق ، ج ١ ، (بغداد : ١٩٨٥) .
٢٣- فاضل عبد الواحد ، سومر أسطورة وملحمة ، (بغداد : ١٩٩٩) .
٢٤- فاضل عبد الواحد علي وعامر سليمان ، عادات وتقاليد الشعوب القديمة ، (بغداد :١٩٧٩) .
٢٥- فرنكفورت ، هنري ، ما قبل الفلسفة الانسان في مغامرته الفكرية الأولى ، تر: جبرا أبراهيم جبرا ، ط ٢ ، (بيروت : ١٩٨٠) .
٢٦- القطبي ، مهند عاشور شناوة ، مجمع الآلهة في ضوء المصادر المسمارية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، قسم الآثار ، (بغداد : ١٩٩) .
٢٧- كريمر ، صموئيل نوح ، الأساطير السومرية دراسة في المنجزات الروحية والأدبية في الألف الثالث قبل الميلاد ، تر: يوسف داود عبد القادر ، (بغداد : ١٩٧١) .
٢٨- كريمر ، صموئيل نوح ، هنا بدأ التاريخ ، تر: ناجي المراني ، (بغداد : ١٩٨٠) .
٢٩- كريمر ، صموئيل نوح ، الأساطير السومرية ، تر: يوسف داوود عبد القادر (بغداد : ١٩٧١).
٣٠- كريمر ، صموئيل نوح ، السومريون ، تر: فيصل الوائلي ، (الكويت : ١٩٧٣) .
٣١- كريمر، صموئيل نوح ، من ألواح سومر ، تر : طه باقر ، (بغداد) .
٣٢- كمال أحمد زكي ، الأساطير دراسة حضارية مقارنة ، (بيروت : ١٩٧٩) .
٣٣- كيبرا ، أدورد ، كتبوا على الطين ، ص ١٤٩ .
٣٤- لامبرت ، دبلي . جي ، أدب الحكمة البابلي ، تر: حسان محمود الشهواني ، ط١ (بغداد :٢٠١٥)
٣٥- لونغ ، تشارلز ، " ما الميثولوجيا " ، تر: مجيد الماشطة ، مجلة أفاق عربية ، العدد١ ، (بغداد :١٩٨٧) .
٣٦- ماتو ، لوبور وعدد من الباحثين ، الأساطير في حضارة وادي الرافدين ترجمة عن الرقم الطينية ، تر: عصام عبد اللطيف أحمد ، (بغداد : ٢٠٠٦) .
٣٧- الماجدي ، خزعل ، كتاب أنكي الأدب في وادي الرافدين ، ج١ ، ط١ ، (المغرب :٢٠١٣) .
٣٨- مجدي محمد شمس الدين ابراهيم ، "الأسطورة " ، مجلة آفاق عربية ، العدد ٩ ، السنة ١٢ ، (بغداد : ١٩٨٧) .

٣٩- مريم عمران موسى ، الفكر الديني عند السومريين في ضوء المصادر المسمارية ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، قسم الآثار ، (بغداد : ١٩٩٦) .
٤٠- نبيلة ابراهيم ، الأسطورة ، (بغداد :١٩٧٩) .
٤١- يوسف حبي ، الإنسان في أدب وادي الرافدين ، الموسوعة الصغيرة ، (بغداد : ١٩٨٠) .

المصدر الأجنبية :

1- Benton , W., Encyclopedia Britannica , (Chicago : 1974) .
2- Bienkowski ,P. and Millard ,A. , Dictionary of the Ancient Near East , (British : 2000) .
3- Bolle , S. D., Wisdom in Akkadian Literature – expression – instruction – Dialogue , (Leiden :1992).
4- Bottéro , J ., Religion in Ancient Mesopotamia , (Chicago-London : 2001)
5- Foster , B. R. , From Distant Days Myth , Tales and Poetry of Ancient Mesopotamia , (Bethesen-MaryLand :1995) .
6- Foster , Benjamin , Before the Muses an Anthology of Akkadian Literature , (USA: 2005) .
7- Hooke , S. H., Babylonian and Assyrian Religion ,(USA :1963) .
8- Izreel , Sh. & Cohen , E., Literary Old Babylonian , (Lincom Europt:2004) .
9- Jacobsen , Th ., The Treasures of Darkness A History of Mesopotamia Religion , (Yale University : 1976) .
10- Jacobsen , Th. , " Sumerian Mythology : A Review Article " , JNES , vol.V , (USA : 1946) .
11- Klein , Jacob , A New Look at the Oppression of Uruk , Episode in the Gilgamesh Epic , Riches Hidden in Secret Places , (Indiana : 2002) .
12- Lambart , W.G., " Literary Style in First Millennium Mesopotamia " , JAOS , vol.88 , No.1 , (USA :1968) .
13- Lambert , W.G. and Millard , A.R. , Atra-hasis the Babylonian Story of the Flood , (Oxford:1969) .
14- Lambert , W.G., " Myth and Mythmaking in Sumer and Akkad" , CANE , vol. III & IV , (USA : 1995) .
15- Mackenzie , Donald , Myths of Babylonia and Assyria , (London) .
16- Peinado , Frderico Lara " Enuma elish " (Trotta : 1994) .
17- Rogers , R. W., Cuneiform Parallels to the Old Testament , (New York : 1912) .
18- Vanstiphout , H.L.J. , Sanctus Lugalbanda , Riches Hidden in Secret Places , (Indiana : 2002) .

هوامش البحث :

(١) طه الهاشمي ، تاريخ الأديان وفلسفتها ، (بيروت : ١٩٦٣) ، ص ٧ .

(٢) ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، المجلد ١٣ ، (بيروت : ١٩٥٦) ، ص ١٦٨ .

(٣) أحمد الزاوي ، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة ، ج ٢ ، (مصر) ، ص ٢٤٢ .

(٤) لامبرت ، دبلي . جي ، أدب الحكمة البابلي ، تر: حسان محمود الشهواني ، ط١ (بغداد :٢٠١٥) ، ص ١٧ ؛ عامر سليمان ، العراق في التاريخ القديم ، ج ٢ (الموصل :١٩٩٣) ، ص ٢٧٢ .

(٥) ذكر هاري ساكز إن الأدب القديم كان نوعاً من الأدب الذي يقص على مسامع الناس ولم يكن يقرأ ، فقد كان له وجود حقيقي فقط عندما يقص وربما بمصاحبة ممثل أمام جمهور من الناس للمزيد عنه ينظر : ساكز ، هاري ، الحياة اليومية في العراق القديم (بلاد بابل وأشور) ، تر: كاظم سعد الدين ،(بغداد :٢٠٠٠) ، ص ٩٥؛

Bolle , S. D., Wisdom in Akkadian Literature – expression – instruction – Dialogue , (Leiden :1992) , p.7ff

(٦) بدأت أولى بوادر ظهور الكتابة في بلاد الرافدين في حدود النصف الثاني من الألف الرابع أي في حدود ٣٢٠٠ ق.م. إذ وجدت في الطبقة الرابعة (أ) في الوركاء ولكن البدايات الأولى للتدوين الأدبي ظهر بعد ذلك بكثير ، مع العلم كان للمدارس دور هام في الحفاظ على ذلك الموروث الأدبي في بلاد الرافدين وللمزيد عنه ينظر : فاضل عبد الواحد ، سومر أسطورة ..... ، ص ٢٣ وما بعدها .

(٧) كريمر ، صموئيل نوح ، السومريون ، تر: فيصل الوائلي ، (الكويت : ١٩٧٣) ، ص ١٥٨ .

(٨) إن المؤسسات الثقافية التي حافظت على ذلك الموروث الحضاري هي المدارس فقد أدت دورها الفاعل في العصر البابلي القديم بوصفها مؤسسة ثقافية كاملة حافظت على هذا الموروث من الضياع وكان لها دور بارز في تدوين النصوص الأدبية السومرية وإعادة نسخها من أجل تدريب الطلاب على الكتابة ، وللمزيد ينظر : فاضل عبد الواحد ، سومر أسطورة ... ، ص ٥١ .

(٩) طه باقر ، "أدب الحكمة من تراث أدب العراق القديم " ، مجلة أفاق عربية ، العدد ٤ ، (بغداد :١٩٧٥) ص ١١٤ .

(١٠) روبرت بكر ، "بلاد الرافدين القديمة والتقاليد الأدبية للألف الثالث" ، مجلة سومر ، م ٤٢ (بغداد : ١٩٨٦) ، ص ٣٢ .

(١١) تميز أدب بلاد الرافدين بالقدم : إذ كان يعد أقدم الفنون الأدبية الذي أنتجه وأبدعه الإنسان مقارنة مع النصوص الأدبية المكتشفة في بلدان الشرق الأدنى القديم ، إذ تعود أقدم النصوص الأدبية إلى حدود القرن الرابع والعشرون قبل الميلاد المتمثلة بالنص الأدبي الذي عرف بنص أسطورة (إنليل وننخرساك)

– محافظة أدب بلاد الرافدين على أصالته : لم يتعرض معظم أدب بلاد الرافدين إلى التحوير أو التزوير أو التغيير أو الإضافات في الأحداث الرئيسة للعمل الأدبي ، بل جاءنا بشكله الأصلي حسب ما دونه الأقدمون بأنفسهم . وكذلك الخصوصية الأسطورية التي اتصفت بها معظم النتاج الأدبي لبلاد الرافدين بصبغة أسطورية أو ملحمية في معالجته لقضايا مهمة وأساسية في الحياة .

– استخدام أسلوب ثنائية اللغة في تدوين الأدب الرافديني : معظم النصوص الأدبية مدونة بلغتين هي السومرية والأكدية (بفرعيها البابلية والآشورية) ، علماً إن السومرية بقيت هي اللغة السائدة في البلاد منذ أن تم اختراع الكتابة حتى ظهور الأقوام الأخرى (البابليون والآشوريون) . وجاء انعكاس المعتقدات والتقاليد في أدب بلاد الرافدين.

– اعتماد أسلوب التكرار. والإنتشار الواسع للنتاجات الأدبية . وكتب أدب بلاد الرافدين نثراً وشعراً . للمزيد ينظر : فاضل عبد الواحد ، سومر أسطورة .... ، ص ٤٩.

(١٢) فاضل عبد الواحد ، سومر أسطورة .... ، ص ٤٩ ؛

Lambart , W.G., " Literary Style in First Millennium Mesopotamia " , JAOS , vol.88 , No.1 , (USA :1968) , p.123-132.

(١٣) بوترو ، جين ، و إدزارد ، اوتو ، و فالكنشتاين ، آدام، الشرق الأدنى والحضارات المبكرة ، ترجمة : عامر سليمان ، (الموصل : ١٩٨٦) ، ص ٢١٥ .

(14) Peinado , Frderico Lara " Enuma elish " (Trotta : 1994) ,p.5 ff.

(١٥) طه باقر ، مقدمة في أدب العراق القديم ، (بغداد : ١٩٧٦) ، ص ١٩ .

(١٦) أقدم نظام للمكتبات نشأ في المعبد وأشهر المكتبات هي تلك التي عثر عليها في مدينة نفر ومكتبة مدينة سبار من العصر البابلي الحديث وكذلك مكتبة نينوى التي تعود للملك آشوربانيبال من العصر الآشوري الحديث ، للمزيد ينظر : الجميلي ، قصي صبحي عباس ، المكتبات في العراق القديم خلال الألف الأول قبل الميلاد ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد – كلية الآداب ، قسم الآثار ، (بغداد :١٩٩٨) ، ص ٢١٩–٢٤٥.

(١٧) فاضل عبد الواحد ، "الأدب" ، حضارة العراق ، ج ١ ، (بغداد : ١٩٨٥) ، ص ٣٢٠ .

(١٨) إن الأناشيد الصغيرة نقصد بها هي تلك التي تنشدها الأمهات أثناء نوم أطفالهن ، وكذلك ترانيم الصياد التي يرتلها أثناء عملية صيده ، أو الفلاح الذي يتلوها أثناء أعمال الزراعة والحصاد وغيرها كثير . للمزيد ينظر : فاضل عبد الواحد ، الأدب..... ، ص ٣٢٠ ..

(١٩) فاضل عبد الواحد علي وعامر سليمان ، عادات وتقاليد الشعوب القديمة ، (بغداد :١٩٧٩) ، ص١٠٨.

(٢٠) لقد أعطى الإنسان في بلاد الرافدين للعامل الديني المقام الأول في حياته لأن الآلهة صاحبة كل شئ في الحياة ، وإن كل عمل يقوم به الإنسان لابد أن يكون للفعل الآلهي دخل فيه إذ كان ذلك منذ أن خلقته وقدرت عمره للمزيد ينظر : خليل سعيد عبد القادر ، " الحس الديني لدى سكان وادي الرافدين " ، مجلة أفاق عربية ، العدد١ ، (بغداد :١٩٨٧) ، ص١٠٣.

(٢١) السواح ، فراس ، الأسطورة والمعنى.....، ص ٢٤ ؛

الحاج يونس ، ريا محسن ، " الثقافة والعلوم في العراق القديم " ، مجلة آداب الرافدين ، كلية الآداب – جامعة الموصل ، (٢٠٠٩) ، ص٥٦٦ .

(٢٢) كمال أحمد زكي ، الأساطير دراسة حضارية .....، ص ٤٥ .

(٢٣) فرنكفورت ، هنري ، ما قبل الفلسفة الانسان في مغامرته الفكرية الأولى ، تر: جبرا أبراهيم جبرا ، ط٢ ، (بيروت : ١٩٨٠)، ص ١٨ .

(٢٤) المصدر نفسه ، ص ١٣ .

(٢٥) السواح ، فراس ، مغامرة العقل الأولى دراسة في الأسطورة بين سوريا وبلاد الرافدين ، (بيروت : ١٩٨١) ، ص ١٥ .

(٢٦) مريم عمران موسى ، الفكر الديني عند السومريين في ضوء المصادر المسمارية ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، قسم الآثار ، (بغداد : ١٩٩٦) ، ص ١٢ .

([٢٧]) فراس السواح ، مغامرة العقل..... ، ص ٤٦ .

([٢٨]) كريمر ، صموئيل نوح ، هنا بدأ التاريخ ، تر: ناجي المراني ، (بغداد : ١٩٨٠) ، ص ٦٢ ؛
Izreel , Sh. & Cohen , E., Literary Old Babylonian , (Lincom Europt:2004) , p.1ff.

([٢٩]) كريمر ، صموئيل نوح ، الأساطير السومرية دراسة في المنجزات الروحية والأدبية في الألف الثالث قبل الميلاد ، تر: يوسف داود عبد القادر ، (بغداد : ١٩٧١) ، ص ١٣ .

([٣٠]) إن قوائم بأسماء الآلهة كانت مصدراً مهماً في تزويدنا بأسماء الآلهة في بلاد الرافدين وقد عثر على أسماء الآلهة مدونة على رقم طينية جاءت من مدينة شوروباك (فارة) جنوب بلاد الرافدين مؤرخة إلى (٢٦٠٠ ق.م) تتصدرها أسماء الآلهة الست الرئيسة وهم (آنو وإنليل وإنكي وعشتار وسين وشمش)

([٣١]) إدزارد ، د.، قاموس الآلهة والأساطير ، تر : محمد وحيد خياطة ، (سورية : بلا ت) ، ص ٢٤ .

([٣٢]) المصدر نفسه ، ص ٥٧ .

([٣٣]) يفيد التكرار أحياناً في إتمام بعض السطور الناقصة والمخدوشة في النص ونادراً ما يتم العثور على ألواح كبيرة تامة الأمر الذي يجبرنا على البحث عن مشابهات للنواقص في النصوص الأخرى . للمزيد ينظر : إدزارد ، د. ، قاموس الآلهة والأساطير..... ، ص ٥٧-٥٨ .

([34]) Foster , Benjamin , Before the Muses an Anthology of Akkadian Literature , (USA: 2005) , p.20.

([٣٥]) لقد قسم بعض الباحثين الأساطير إلى خمسة أنواع هي: **الأسطورة الطقوسية** : تمثل من خلال الجانب الكلامي الأفعال الطقوسية التي تصور عملية خلق الكون . **الأسطورة التعليلية** : وهي التي حاول الإنسان عن طريقها أن يعلل ظاهرة تسترعي نظره . **الأسطورة الرمزية** : وهي التي تتضمن رموزاً تتطلب التفسير . أسطورة البطل المؤله : وهي التي يتميز فيها البطل بأنه مزيج من الإنسان والإله (البطل المؤله) .**الأسطورة التاريخية** : وهي التي تسرد الحوادث التاريخية والخرافة معاً . **الأسطورة السياسية** : التي تؤدي فيها السياسة دوراً رئيساً لخدمة أغراضها للمزيد ينظر: لونغ ، تشارلز ، " ما الميثولوجيا " ، تر: مجيد الماشطة ، مجلة أفاق عربية ، العدد١ ، (بغداد :١٩٨٧) ، ص٨٥. ؛ نبيلة ابراهيم ، الأسطورة ، (بغداد :١٩٧٩) ، ص٣٤ ؛ مجدي محمد شمس الدين ابراهيم ، "الأسطورة " ، مجلة آفاق عربية ، العدد ٩ ، السنة ١٢ ، (بغداد : ١٩٨٧) ، ص٦٩-٧١ ؛
Benton , W., Encyclopedia Britannica , (Chicago : 1974) , p.793-802 ;
Mackenzie , Donald , Myths of Babylonia and Assyria , (London) ,p.125 ff.

([٣٦]) مجدي محمد شمس الدين ابراهيم ، "الأسطورة ..... ، ص ٦٩ .

([٣٧]) لقد أشار هاري ساكز بأن هذا النوع من النصوص من نوع الأساطير ، ولكن في الغالب هي نصوص تتحدث عن الملوك ومنجزاتهم ومآثرهم على الرغم من ذكر الآلهة فيها وهناك مصطلح (نارو naru) الذي يعني بالضبط مسلة منحوتة من قبل ملك تحمل سجلاً لأحداث عهده ، وقد أطلق على هذا النوع (أدب النارو) لأنها في الحقيقة تمثل نصوص (نارو) أو أكثر القصص شهرة من هذا النوع هي قصة مولد الملك الأكدي سرجون . للمزيد ينظر : ساكز ، هاري ، عظمة بابل ، تر: عامر سليمان ، (الموصل :١٩٧٩) ، ص ٤٨٨ .

([٣٨]) يطلق عليها بعض الباحثين أساطير الطبيعة أو الأساطير التفسيرية ويؤلف هذا النوع من الأساطير الجزء الأهم والأكبر من الأساطير للمزيد ينظر :

مجدي محمد شمس الدين ابراهيم ، " الأسطورة..... ، ص٧٠.

(٣٩) العزيز ، حسين قاسم ، دراسات عن أساطير عرب شبه الجزيرة قبل الإسلام مدخل لفهم معتقداتهم ، ط١ ، (بيروت : ٢٠١٤) ، ص١٥٠.

(٤٠) الماجدي ، خزعل ، كتاب أنكي الأدب في وادي الرافدين ، ج١ ، ط١ ، (المغرب :٢٠١٣) ، ص ٥٦.

(٤١) المصدر نفسه ، ص ٥٧.

(٤٢) المصدر نفسه ، ص ٥٧.

(43) Lambert , W.G., " Myth and Mythmaking in Sumer and Akkad" , CANE , vol.III&IV , (USA : 1995) , p.1825.

(٤٤) ماتو ، لوبور وعدد من الباحثين ، الأساطير في حضارة وادي الرافدين ترجمة عن الرقم الطينية ، تر: عصام عبد اللطيف أحمد ، (بغداد : ٢٠٠٦) ، ص١٥ .

(45) Bottéro , J ., Religion in Ancient Mesopotamia , (Chicago-London : 2001) , p. 48-49.

(٤٦) يوسف حبي ، الإنسان في أدب وادي الرافدين ، الموسوعة الصغيرة ، (بغداد : ١٩٨٠) ، ص٥-٦ .

(٤٧) كمال أحمد زكي ، الأساطير ..... ، ص ٨-٩ .

(٤٨) بريشارد ، جيمس ، أساطير بابلية ، تر : سلمان التكريتي ، (النجف : ١٩٧٢) ، ص ٢٤-٢٥ .

(٤٩) السواح ، فراس ، الأسطورة والمعنى ... ، ص ١٣ .

(50) Bottéro , J ., Religion in Ancient ……., p. 45-46

(51) Jacobsen , Th ., The Treasures of Darkness A History of Mesopotamia Religion , (Yale University : 1976) ,p.113.

(52) Jacobsen , Th. , " Sumerian Mythology : A Review Article " , JNES , vol.V , (USA : 1946) , p.128-152.

(٥٣) الفؤادي ، عبد الهادي ، رحلة أينانا إلى أريدو ، مجلة سومر ، مج. ٢٧، ج١-٢ ، (بغداد :١٩٧١) ، ص ٥٣-٦١

(٥٤) كريمر ، صموئيل نوح ، الأساطير السومرية ..... ، ص ١٣ .

(٥٥) كريمر، صموئيل نوح ، السومريون ... ، ص ٢٣٣ .

(56) Hooke , S. H., Babylonian and Assyrian Religion ,(USA :1963) , p.58 -70.

(٥٧) فاضل عبد الواحد علي ، سومر أسطورة .... ، ص ٩٠ .

(٥٨) ساكز، هاري ، عظمة بابل..... ، ص ٤٤٦ .

(٥٩) تودوروف ، تزفيتان ، نقد النقد ، تر : سامي سويدان ، (بيروت :١٩٨٦) ، ص ٣٩ .

(60) Klein , Jacob , A New Look at the Oppression of Uruk , Episode in the Gilgamesh Epic , Riches Hidden in Secret Places , (Indiana : 2002) p.188 ff.

(٦١) أن مجتمع الآلهة الذي يتكون من شخصيات لا تختلف عن البشر إلا بانفرادها بصفة الخلود ، فلقد أضفت عليها جميع الصفات البشرية وهذا ما جعل الإنسان القديم يضع تصوراً للكون والآلهة وجعلها قريبة منه ويمكنه التعامل معها للمزيد ينظر: القطبي ، مهند عاشور شناوة ، مجمع الآلهة في ضوء المصادر المسمارية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، قسم الآثار ، (بغداد : ١٩٩) .

(62) Foster , B.R. , Before The Muses ……..,p.37 .

(٦٣) للمزيد حول ملحمة كلكامش ينظر الفصل الثالث ، المبحث الثاني ، ص ١٤٩.

([64]) Lambert , W.G. and Millard , A.R. , Atra-hasis the Babylonian Story of the Flood , (Oxford:1969), pp.3-28.

([٦٥]) لقد ذكر العديد من الباحثين أن هذه المرحلة تسمى بـ (عصر البطولة) وربما المقصود به هي تلك المدة التي ظهر فيها ملوك سومريون قاموا بأعمال مهمة خلدت ذكراهم وبقيت أسمائهم تتناقل للأجيال عدة ، للمزيد ينظر : فاضل عبد الواحد ، سومر أسطورة وملحمة ... ، ص ١٤٨ .

([٦٦]) فاضل عبد الواحد ، سومر أسطورة .....، ص ١٤٩ .

([٦٧]) أنميركار :- هو أحد الحكام السومريين وهو الحاكم الثاني في سلالة الوركاء الأولى الذي استطاع السيطرة على مدينة أراتا (Aratta) في إيران ، ونسب له بناء أسوار مدينة الوركاء ، للمزيد عنه ينظر : كريمر، صموئيل نوح ، من ألواح سومر ، تر : طه باقر ، (بغداد) ص ٣٣٧-٣٣٨ .

Bienkowski ,P. and Millard ,A. , Dictionary of the Ancient Near East , (British : 2000) ,p.105 .

([٦٨]) لوكال بندا:- هو أحد الحكام السومريين في مدينة الوركاء ، الذي عدته بعض النصوص الأدبية أنه والد البطل كلكامش ، وقد ورد اسمه في نصوص قوائم الآلهة السومرية التي تؤرخ إلى عصر فجر السلالات الأول ، ينظر :

Bienkowski ,P. and Millard ,A. , Dictionary of the Ancient ……. ,p.184 .

([٦٩]) دموزي:- ظهر أسم دموزي من بين أسماء الحكام في مدينة الوركاء ولا يعرف عنه أي شيء ، أما كونه إلهاً فقد ذكرته قوائم الآلهة السومرية بأنه الإله الراعي والمسؤول عن الري والزراعة أيضاً ، فقد ذكر في أسطورة نزول الإلهة عشتار إلى العالم الأسفل بأنه حبيب عشتار الذي أخذ مكانها في العالم الأسفل ، وقد عبد في مدينة بادتبيرا ، للمزيد عنه ينظر :

Bienkowski ,P. and Millard ,A. , Dictionary of the Ancient …… ,p.96 .

([٧٠]) كلكامش:- للمزيد عنه ينظر الفصل الثالث ، المبحث الثاني .

([٧١]) يعتقد الباحثون أن الأدب الملحمي نشأ نتيجة رغبة الملوك والأمراء في تحقيق مزيد من المجد والشهرة ، فكانوا يأتون بالمنشدين والمغنين إلى مساكنهم أثناء إقامة الولائم والاحتفالات العامة لينظموا القصائد والأغاني التي تمجد بطولاتهم ومنجزاتهم التي كانوا ينشدونها على الأرجح بمصاحبة الموسيقى ، للمزيد ينظر : فاضل عبد الواحد ، سومر أسطورة وملحمة ... ، ص ١٤٩ .

([٧٢]) كيبرا ، أدورد ، كتبوا على الطين ..... ، ص ١٤٩ .

([٧٣]) كريمر، صموئيل نوح ، السومريون .....، ص ٢٥٤ .

([74]) Vanstiphout , H.L.J. , Sanctus Lugalbanda , Riches Hidden in Secret Places , (Indiana : 2002) ,p.259 .

([٧٥]) طه باقر وبشير فرنسيس ، "ملحمة كلكامش "، مجلة سومر ، مج ٥، ج ١، (بغداد: ١٩٥٠) ، ص

([٧٦]) فاضل عبد الواحد ، سومر أسطورة .....، ص١٤٩.

([٧٧]) للمزيد عن تفاصيل هذه الملاحم ينظر : فاضل عبد الواحد ، سومر أسطورة وملحمة ... ، ص ١٥٨ وما بعدها .

([٧٨]) كريمر ، السومريون ... ، ص ٢٥ ؛ فاضل عبد الواحد ، سومر أسطورة وملحمة ... ، ص ١٥٨ وما بعدها .

([٧٩]) كريمر ، السومريون ... ، ص ٢٣٠-٢٣١ .

([٨٠]) ساكز ، هاري ، عظمة بابل..... ، ص ٤٨٣.

([81]) Foster , B. R. , From Distant Days Myth , Tales and Poetry of Ancient Mesopotamia , (Bethesen-MaryLand :1995) , p.165-208 ;
Rogers , R. W., Cuneiform Parallels to the Old Testament , (New York : 1912) , p.135.

The Impact of Religious Thought on the Literary Texts in Mesopotamia

Dr. Munther Ali Abdul Malek
College of Arts
Department of History

Dr. Fayhaa Mawlood Ali
College of Arts
Department of Archaeology

Introduction :

Definition of religion , it is not a simple matter that some people as they thinks , because , if we want to know the religion what is mean in general definition encompassing all religions , we find it very difficult to know it , because each religion has its own characteristics , whether in the sense or in the doctrine or method of worship . Therefore , religion is obedience , habits and matters . And the Arabs say that it is still religious and what I thought , I mean my habits . Thus , the meaning of religion is oppression , deception , judge , ruler , accountant , rewards , who does not waste work , but rewards by the good for each one .